آخر ما يريده أردوغان المتنمّر هو صلاح حال الأمة

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

بعد أن نجح رجب طيب أردوغان، الرئيس التركي الطامح للخلافة، في نشر الخراب داخل سوريا، عمل جاهدا على توظيف مآسي السوريين في ابتزاز الاتحاد الأوروبي، الذي غضّت دوله الطرف عن محاولات أنقرة التخريبية.

وكان طبيعيا، في ظرف مثل هذا، أن يتمادى في تنفيذ مخططه الهادف إلى دعم مجموعات الإسلام السياسي، ومن بينها الإخوان المسلمون، وهو في طريقه الآن لنقل حالة الفوضى إلى دول جنوب حوض البحر المتوسط، متسللا عبر البوابة الليبية – الجزائرية.

ودون لف أو دوران قال المستشار النمساوي، سباستيان كورتس، وهو أصغر زعيم في العالم، إن أردوغان يبتز أوروبا مستخدما سلاح المهاجرين، وطالب دول الاتحاد الأوروبي باتخاذ موقف صارم وواضح ضده.

وما حرصت المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، على إخفائه طويلا، كشف عنه كورتس قائلا إن "أنقرة تستخدم المهاجرين سلاحا في وجه دول أوروبا".

وذكّر المستشار النمساوي الأوروبيين بالوضع الداخلي في تركيا خلال حكم أردوغان، حيث يتم اعتقال واضطهاد أي مخالف للرأي على المستوى السياسي، وحيث يُلقي بالصحافيين في السجون بصورة متكررة، ويستخدم المهاجرين سلاحا لابتزاز الغرب.

وانتقد كورتس دول الاتحاد الأوروبي لتساهلها مع أنقرة، رغم أن لديها الكثير من الوسائل التي تتيح لها ممارسة الضغط، وحثّ المسؤولين الأوروبيين على التفكير في الخيارات المتاحة أمامهم لردع حكومة أردوغان.

وأشار المستشار النمساوي إلى اليونان، التي دخل أراضيها خلال عام 2019 أكثر من 73 ألف مهاجر غير شرعي من تركيا، وقال إنها تستحق دعم الاتحاد الأوروبي الكامل لمساعدتها على مواجهة تنمّر أردوغان.

ورغم أن خطاب كورتس موجه لدول الاتحاد الأوروبي عموما، إلا أن الخطاب تضمن رسالة لوم خاصة موجهة تحديدا للمستشارة الألمانية ميركل، أكثر مما هي موجهة للزعماء الأوروبيين الآخرين.

ولأسباب تتعلق بموقفها المرحّب بالمهاجرين منذ بداية الأزمة السورية، واستغلال اليمين الألماني ذلك ضدها سياسيا، كان موقف ميركل الموقف الأكثر حساسية بين زعماء أوروبا المستهدفين من تهديدات أردوغان المتكررة بفتح الحدود أمام اللاجئين لإغراق أوروبا، في حال عدم الاستجابة لمطالبه.

لم يكتف أردوغان بإشهار سلاح اللاجئين، واختار أن يلوّح بورقة الفوضى، التي قال إنها سوف تعم حوض البحر المتوسط بأكمله، في حال لم يتم تحقيق التهدئة في ليبيا، متوعدا بمواصلة دعم أنقرة لحكومة السراج في طرابلس

وكان الرئيس التركي قد اشترط على المستشارة الألمانية، خلال زيارتها الأخيرة لإسطنبول، التي وصلت إليها الخميس 23 يناير الماضي، في زيارة وُصفت بأنها زيارة عمل، تقديم المزيد من الدعم المالي من قبل الاتحاد الأوروبي، لإبقاء الحدود بين بلاده والدول الأعضاء في الاتحاد مغلقة أمام موجات الهجرة، وذلك رغم المبالغ الكبيرة التي وافق الاتحاد على تحويلها لأنقرة، خلال عام 2016، والتي بلغت 6.6 مليار دولار، للمساعدة على إيواء اللاجئين السوريين، إلى جانب حوافز أخرى لإقناعه بوقف المهاجرين.

وجرى أيضا البحث في علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي، في إطار تولي ألمانيا رئاسة دورة الاتحاد اعتبارا من يوليو المقبل لمدة ستة أشهر، ومسار انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وتحديث اتفاقية الاتحاد الجمركي، وإعفاء مواطني تركيا من تأشيرة دخول بلدان الاتحاد.

ولم يكتف أردوغان بإشهار سلاح المهاجرين، واختار أن يلوّح بورقة الفوضى، التي قال إنها سوف تعم حوض البحر المتوسط بأكمله، في حال لم يتم تحقيق التهدئة في ليبيا، متوعدا بمواصلة دعم أنقرة لحكومة فايز السراج في طرابلس.

ويمكن تفسير تحذيراته على أنها رسالة مشفرة حمّلها للمستشارة الألمانية، تنقلها لزملائها في الاتحاد الأوروبي، لانتزاع موافقتهم على تدخل عسكري تركي في ليبيا. واكتسبت الزيارة دلالة خاصة، لأنها جاءت بعد أيام فقط من استضافة برلين اجتماعا بشأن ليبيا.

وكان أردوغان قد أعلن في الأيام الأخيرة، أكثر من مرة، أن بلاده مستعدة لإرسال قوات إلى ليبيا لدعم حكومة الوفاق والميليشيات الموالية لها، فيما رُصدت رحلات جوية تنقل آلاف المرتزقة من سوريا إلى طرابلس عبر تركيا، للانضمام إلى صفوف تلك الميليشيات في العاصمة، وذلك بعد اتفاقية بين أنقرة وحكومة فايز السراج أثارت غضبا إقليميا كبيرا.

وتشير الأرقام إلى أن عدد المرتزقة الذين نقلتهم تركيا، أو تعهّدت للنقل إلى ليبيا، من الأراضي السورية، حيث تتواصل عملية تسجيل أسماء الراغبين، قد ارتفع إلى ما يقارب 4700 مقاتل، تم تجميعهم من فصائل إرهابية تقاتل في سوريا بدعم مباشر من حكومة أنقرة.

وباعتمادها على المرتزقة لدعم ميليشيات متطرفة تقاتل الجيش الوطني الليبي، أصبحت عبارة "المقاتل الهارب" مصطلحا جديدا من بين مصطلحات كثيرة قدمتها تركيا لقاموس الإرهاب الدولي.

وينشط أردوغان في دول الجوار الليبي بحثا عن دعم لخططه العسكرية، ليعود في كل مرة أقل مكانة مما ذهب، واضعا نفسه وبلده في مواقف محرجة، وبعد زيارة فجائية قام بها إلى تونس الشهر الماضي للحصول على دعم من الرئيس التونسي قيس سعيد، ادعى بعدها أن الرئيس التونسي وافق على دعم حكومة طرابلس، الأمر الذي نفاه مكتب الرئيس التونسي، مؤكدا أن تونس اختارت أن تقف على مسافة واحدة من أطراف الصراع.

آخر الزيارات المحرجة، هي زيارة أردوغان للجزائر، ولقائه الرئيس عبدالمجيد تبون، للتنسيق بشأن الأحداث الجارية في ليبيا، بحثا عن دعم لتدخل عسكري تركي، ويبدو أن اللقاء لم يثمر وعودا ترضي أنقرة.

لم يقتنع أردوغان بالعودة من الجزائر خالي الوفاض، لا بد من إحراز أي هدف، فليهاجم غريمه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، من خلال الحديث عن شهداء الجزائر في عهد الاحتلال.

وما إن غادر التراب الجزائري حتى ادعى أن نظيره الجزائري حدثه عن وثائق تتعلق بمجازر الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وهي وثائق حاول الرؤساء الفرنسيون المتعاقبون التنصل منها، برفضهم الاعتراف بها والاعتذار عنها، وقال إنه طلب من تبون تسليمه هذه الوثائق، واعتبر أن استلامها سيجعله سعيدا للغاية.

وأكد أنه عازم على نشرها فور استلامها، ليتذكر الرئيس الفرنسي ماكرون جيدا أن بلاده قتلت خمسة ملايين جزائري، وهي الحقيقة التي يقول إنه سمعها من تبون خلال زيارته للجزائر.

سعادة رجب طيب أردوغان لم تتحقق، وكما أثارت زيارته لتونس الجدل، أثارت زيارته للجزائر نفس الجدل يضاف إليه الاستياء، بعد أن كشف، من دون وعي منه، عن حقيقة نواياه العدوانية المبيتة لنشر الفتن بين ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية، وأثبت أن آخر ما يريده هو صلاح حال الأمة.

أوسلو والمبادرة العربية وصفقة القرن.. السيء والأسوأ

مروان كنفاني
مستشار الرئيس الراحل
ياسر عرفات

إلى أولئك الفلسطينيين الذين عارضوا اتفاق أوسلو قبل 27 عاما باعتباره تنازلا عن حقوق الفلسطينيين الشرعية، جاءت صفقة أو مبادرة العصر أو فرصة القرن الأميركية ككارثة جديدة قد تطيح بما تبقّى من أرض فلسطينية، وتدفن كل أمل تبقّى في دولة فلسطينية مستقلة.

لم يدفع اتفاق أوسلو القيادات الفلسطينية إلى لمّ الشمل للدفاع عن حقوق الشعب التاريخية والشرعية، ويبدو أن صفقة العصر لن تدفعهم أيضا للعمل المشترك وتجنّب الانقسام الذي أصبح سمة العمل الفلسطيني السياسي والمقاوم والمجتمعي. جاء اتفاق أوسلو نتيجة لعدة عوامل فاعلة مهّدت الطريق لأول تفاوض مباشر بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ بداية الصراع بينهما منذ قرابة قرن من الزمن.

تلك العوامل ترأسها نضال الشعب المسلّح ووحدة الثورة والشعب، وقيام منظمة التحرير والحراك السياسي الدولي واعتراف الأمم المتحدة بها، وإعلان الدولة الفلسطينية في العام 1988 في الجزائر، ونجاح بعض اتفاقات السلام والهدنة العربية مع إسرائيل.

كان أيضا للدور الأميركي الداعم للتوصل إلى اتفاق سلام، والتأييد الروسي والأوروبي والعربي الذي تبنته مصر والأردن، تأثيرات إيجابية لإنهاء المهمة. واعترف العالم بأسره تقريبا باتفاق أوسلو على أنه اتفاق سلام يمكن استكماله وتوسيعه لاتفاق سلام نهائي من خلال الاستمرار في التفاوض حول النقاط المختلف عليها.

فشل أوسلو بسبب وصول حزب الليكود إلى الحكم في إسرائيل، وتصاعد قوة حركة حماس ودعمها من قبل دول عربية وإسلامية. وتعرّض حركة فتح لانفلات تنظيمي والتصرفات الفردية التي فشلت القيادة الفلسطينية في السيطرة عليها، وانتظرت حماس قيام إسرائيل بالقضاء على فتح ومنظمة التحرير بكاملها.

انتهز التطرف الليكودي اندلاع الانتفاضة لإنهاء عملية السلام بالعنف والقتل والدمار والحصار، وبالتالي إنهاء الكيانية الفلسطينية الوليدة، وبدأت مسرحية الانقسام ودولة غزة، وتزايد تغوّل إسرائيل وتوسعها ومصادرة الأراضي وإرساء المستوطنات وتهويد القدس، ثم جاءت صفقة القرن لتشرعن كافة الإجراءات والإنجازات الإسرائيلية.

اعتمد ظهور صفقة القرن على عوامل عدة طرأت على الوضع الفلسطيني والعربي، وهي تختلف عن العوامل التي مهّدت لانطلاق اتفاق أوسلو. وأهمّها التصادم الفلسطيني – الفلسطيني، الذي أدّى إلى الانقسام وتواجد قيادتين منفصلتين للشعب لأول مرة منذ بداية المشكلة الفلسطينية.

علاوة على التحاق الطرفين الفلسطينيَّين بالتحالفات المتضاربة العربية والإقليمية، وفشل الأمم المتحدة والدول الكبرى في الضغط للعودة إلى التفاوض بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، وسريان الأمر الواقع قرابة عشريّتين من الزمن.

ظهرت كذلك عوامل أخرى أدت إلى تعرّض الشرق الأوسط لتغيّرات كثيرة وخطيرة، آخرها ثورات الحراك المتصاعدة والتي ضربت عددا من دول المنطقة، وأثرت على أوضاعها الجيواستراتيجية وأولوياتها السياسية.

عندما توقفت المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي في أواخر العقد الأخير من القرن العشرين، كانت الحرب العراقية – الإيرانية قد انتهت، واحتلال الكويت ولّى، والدور البارز للحركات الإسلامية المسلّحة لم يظهر بشكل فاعل في المنطقة.

لم يكن هناك أساطيل وجيوش أميركية وروسية وأوروبية في منطقة الشرق الأوسط. ولم تتسع الحروب الأهلية في بلدان عربية في آسيا وأفريقيا التي وقى الله بعضها، ولم يحتدم الخلاف الأميركي الإيراني.

كل تلك العوامل هي التي ساعدت على إطلاق مبادرة السلام الأميركية الأخيرة، والتي لا يمكن بأي حال تفسيرها أو اعتبارها وسيلة للتوصل إلى السلام العادل. ومن الطبيعي والمنطقي والضروري أن يرفض الفلسطينيون.

تختلف المبادرة الأميركية المعروفة بـ"صفقة القرن" عن سابقتها مبادرة أوسلو في أمور كثيرة أهمّها أن أوسلو كانت نتاج جهد مشترك، فلسطيني وإسرائيلي مدعوم من الولايات المتحدة وروسيا ومبارك من الأمم المتحدة وغالبية الدول العربية ودول العالم، بينما جاءت صفقة القرن أميركية الهندسة والتسويق.

تؤكد محطات التفاوض والمبادرات التي تطرح، من وقت لآخر، أن الأوضاع تتطور بصورة سلبية وفي غير صالحنا، وننتقل من السيء إلى الأسوأ

وبينما كان العمل في اتفاق أوسلو يقوم على تحديد النقاط المختلف عليها وعرضها للنقاش، ثم الرفض أو الاتفاق وفق المبدأ "تحديد المشكلة والبحث عن حل"، أتت صفقة العصر جاهزة بالمواضيع والحلول ولا ينقصها إلاّ التوقيع والتنفيذ، يليها إمكانية التفاوض خلال أربع سنين على نفس المواضيع التي تم عمليًا قبولها وتنفيذها من قبل الفلسطينيين وفق المقولة العسكرية "نفّذ ثم اعترض على الأوامر".

اجتماع مجلس الجامعة العربية الأخير في القاهرة في الأول من فبراير، كان مظاهرة قوية للاصطفاف العربي والدعم الجماعي لقرار الرفض الذي تبنته القيادة الفلسطينية، لكن هذا الدعم يمكن أن يكون أقوى وأكثر تأثيرا لو ساهمت قيادة حماس في الاصطفاف الفلسطيني والعربي الذي شهده العالم.

هل يسمع شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية والعالم قريبا بيانا من حركة حماس يدعم الموقف الفلسطيني الذي أُعلنَ في مقر الجامعة العربية بالقاهرة؟

في كل الأحوال، على الفلسطينيين إدراك أن الرفض الجماعي الذي أُعلن في مجلس الجامعة العربية، على أهميته، ليس عقوبة للولايات المتحدة ولا يشكّل ضغطا عليها ولا لوما لها، وإنما هو موقف عتاب وربما غضب تجاه تصرفاتها. فواقع الحال يعكس قوة العلاقات العربية مع الولايات المتحدة، على مختلف الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية.

المشكلة التي ستواجه الفلسطينيين ليست المبادرة الأميركية نفسها، حيث أن الخطورة تكمن في كيفية التصرف فيما لو نجحت وتم استكمال تنفيذ بنودها التي لم تنفّذ بعد. وهذا هو السيء.

وتكمن الخطورة أيضا في كيفية التصرف لو أسقطت المبادرة واستمر الحال على الوضع الراهن الذي تم خلاله تنفيذ المصادرات والحصار وبناء المستوطنات وتهويد القدس قبل ظهور صفقة القرن بسنوات. وهذا هو الأسوأ.

يبدو السبيل الوحيد لتجنب هذا المصير أن يعرض الفلسطينيون أمام العالم بأسره أنهم يريدون السلام والتفاوض مع الإسرائيليين للتوصل إلى تفاهمات، لكن ليس بالقطع وفق صفقة القرن، لكن ربما بمبادرة دولية جديدة من الأمم المتحدة أو دول محايدة، أو العودة إلى التفاوض لتطبيق المبادرة العربية للسلام، أو العودة للتفاوض لاستكمال بنود اتفاق أوسلو الذي رفضت إسرائيل، وليس الفلسطينيين، استكماله.

يمر الوقت وهو ليس في صالح الفلسطينيين، وتؤكد محطات التفاوض والمبادرات التي تطرح، من وقت لآخر، أن الأوضاع تتطور بصورة سلبية وفي غير صالحنا وننتقل من السيء إلى الأسوأ. الأمر الذي يفرض وقفة للمراجعة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk